القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٦ —

قيس وأسد وتميم وكنانة:

أتيت في المقالات السابقة على ما كان لتميم من اختلاف مع القبائل الأخرى مشيراً إلى ما شاركها فيه غيرها من قيس وأسد وبعض قبائل نجد، وذلك مما كان له أثر في القراءات واللغة وقواعدها. والواقع أن ما سبق هو الكثرة الواضحة أما خلافات القبائل الأخرى فقليلة، وسأعرض لها تكملة للبحث وإتماماً للموضوع.

وقد راعيت أن أقدم فكرة عن موطن كل قبيلة أو بطن حتى يسهل على الباحث تتبع القبيلة والعوامل التي أثرت فيها، وكيف اشتركت مع غيرها في خصائص لغوية كان سببها الجوار

وأذكر مع ذلك أن هذه الأبحاث والتوفيق بينها وجمعها في وحدة مترابطة مما لم يسبق إليه إنسان ولا وجدت أحداً أعطاها حقها من العناية والاستقصاء ويرجع هذا إلى عسر الحصول على مكوناتها وعناصرها فإذا وجدت لمحات لقبيلة مبعثرة في كتب الأدب واللغة والنحو فلا تذكر لك ارتباطها بالقراءات. وإذا أتيحت نسبتها في كتب القراءات والتفسير، فلا تمر إلا عرضاً مبتورة ينقصها الترتيب. وفوق هذا فإن مساكن القبائل ومواطنها وديانتها لا يجمعها كتاب واحد من كتب الأدب والتاريخ. وذكر ديانات العرب وأصنامهم ومن كان يعبدها يسهل معرفة القبائل المتجاورة أما ذكر شخصياتها فمن باب التعريف بمن كان له من هذه القبائل نصيب من الشهرة والذيوع. ولعل في هذا كله بياناً لمن يحسب لأول وهلة أنه زيادة أو خروج عن الموضوع

قبيلة قيس:

تجمع هذه القبيلة عدداً كبيراً من القبائل والبطون ونسبها هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد أصبح كثير من بطونها في عداد القبائل لكثرة ما شملته من أفراد فمن فروع قيس:

١ — غطفان: ومنها عبس وذبيان، ومن ذبيان فزارة الذين وقعت بينهم وبين عبس حروب كثيرة بسبب الفرسين: داحس والغبراء. ومن ذبيان أيضاً بنو مرة، ومنهم الحارث بن ظالم المري، أحد فتاك العرب المشهورين والذي يضرب به المثل فيقال أمنع من الحارث وقد كان السبب في بعض المعارك العربية التي تسمى أيام العرب.

ومن بني عبس عنترة الفارس الشاعر. ومن ذبيان النابغة الذبياني الشاعر. ومن غطفان أيضاً بنو أشجع. وكانت منازل غطفان بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء أجا وسلمى إلا أشجع فقد كانت منازلهم حوالي المدينة. وقد اتخذت غطفان لها بيتاً للعبادة أرادوا أن يجعلوه حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه، واسم هذا البيت «بس» ووضعوا حجرين متباعدين وقالوا إنهما الصفا والمروة، واجتزءوا بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه وعطل حرمهم وذلك في الجاهلية. وقد تفرقت غطفان في الفتوح الإسلامية.

٢ — بنو سليم بن منصور، وكانت بلادهم في عالية نجد قريباً من خيبر.

وكان بعض بني سليم سدنة «العزى» وفي عام الفتح بعث الرسول سيدنا خالد بن الوليد فأحرقها وقال:

يا «عز» كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ومن سليم الخنساء الشاعرة ونصر بن حجاج الذي كان بارع الجمال، فسمع سيدنا عمر بن الخطاب امرأة تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفاه بعيداً عن المدينة وقال لا يساكني رجل تتشبب به النساء

٣ — فهم وهم بنو فهم بن أعصر بن سعد بن قيس، وباهلة وهم بنو معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة. وكانت فهم وباهلة يعبدون «العزى» وما كن فهم وباهلة متجاورة في نجد شرق الطائف، وبعض بني باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرقي في الطريق بين مكة واليمن في موضع يسمى تبالة حيث كانوا سدنة لصنم اسمه «ذي الخلصة» وكانت تعظمه أيضاً وتهدي له خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن

ويحكى أن رجلا من العرب — وينسب ذلك إلى امرىء القيس — قد قتل أبوه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ومن باهلة الأصمعى الراوية المشهور .

٤ — بنو عدوان وفهم أبناء عمرو بن قيس وكانت منازل عدوان الطائف ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، ومن عدوان عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب ، ومن حكمه :

من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به .

للكثرة الرعب ، وللصبر الطيبة . رُبَّ أكلة تمنع أكلات .

ومنهم ذو الأصبع العدوانى ، ومن شعره العذب :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى
إنى لعمرك ما بابى بذى غلق عن الضيوف ولا خيرى بممنون
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق بالفاحشات ، ولا أغضى على الهون
ما ذا على وإن كنتم ذوى رحمى أن لا أحبكمو إن لم تحبونى
كل امرىء صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وكانت منازل فهم بنجد ومن فهم الشاعر المشهور الأعشى وتأبط شراً أحد الفتاك والعدائين المشهورين .

٥ — هوازن : وكانت ديارهم بنجد والعالية شرق المدينة ومكة إلى الطائف . ولهوازن فروع كثيرة مشهورة منها ثقيف الذين كانوا بالطائف وما حولها ، ومن ثقيف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأمية بن أبى الصلت الشاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

وكانت ثقيف تخص « اللات » بالزيارة والهدية وسدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وفى ذلك يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت وينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر
إن التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر

إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

وكان لهوازن أيضاً صنم اسمه « جبار » .

ومن هوازن سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بنجد شرق مكة ، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمال فى قراءته « يحبى » وسئل فى ذلك : هذه لغة الأخوال بنى سعد .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة الذين منهم بنو نمير وبنو كلاب وبنو كعب ، وأولئك هم الذين عناهم جرير بقوله يهجو الراعى النميرى الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ومن كعب بنو عقيل رهط توبة بن الحمير وليلى الأخيلية الشاعرين العاشقين .

ومن بنى عامر أيضاً بنو هلال منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم بنو جشم الذين منهم دريد بن الصمة صاحب البيت المشهور المتمثل به :

نصحت لهم نصحى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكانت مساكن نمير بنجد ثم انتقلوا فى الإسلام إلى العراق شمالا . وكانت كلاب وكعب بلادهم بنجد مما يلى تهامة ، وكانت كلاب أقرب إلى المدينة فى حمى ضرية والربذة وفدك ، ثم انتقل بنو كلاب فى الإسلام شمالى الشام حول حلب . وكان بنو هلال فى الجاهلية بنجد ، ثم ساروا فى الإسلام إلى مصر ثم إلى المغرب وكانت منازل جشم فى السروات قريباً من قبيلة هذيل .

قبيلة هذيل :

هم أبناء هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . كانت ديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان بالطائف ، وكانوا يعبدون من الأصنام « سواعاً » وسدنته منهم ، وفى ذلك يقول رجل من العرب فى القرشيين :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

وقد افترقت هذيل فى الفتوح الإسلامية على الممالك . ومن هذيل أبو ذؤيب الشاعر صاحب المرثية المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابى المشهور ، ومن نسله المسعودى على بن الحسين المؤرخ

قبيلة أسد :

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت بلادهم بأرض نجد مجاورين لقبيلة طيء من جهة وقبائل قيس وتميم من جهات أخرى وهم الذين قتلوا والد امرىء القيس وقصة ذلك وما جرى بسببها مشهورة . وقد تفرقت أسد في الفتوح الإسلامية . وكان لجديلة من طيء صنم — وآلهة «النفس» لأنه كان لطيء ومن يليها — أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا بعده صنماً يسمى « اليعبوب » وفي ذلك يقول أحد الشعراء وهو عبيد ابن الأبرص :

فتبدلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقروا يا جديل وأعذروا

ومن بني أسد أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد بن حارثة . ومنها عبيد بن الأبرص والكميت بن زيد الشاعران وطليحة بن خويلد الذي كان كاهناً ثم ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ثم عاد إلى الإسلام .

ومنهم زر بن حبيش الذي أخذ عنه كثير من القراء .

كنانة :

هم أبناء عبد مناة ومالك وملكان أبناء كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين يطلق عليهم كنانة حيث احتفظوا باسم أبيهم . أما أبناء النضر بن كنانة فهم الذين يطلق عليهم لقب قريش سواء كانوا قريش الظواهر أم قريش البطاح ، وهم سكان مكة وما حولها ، فإذا نسبت لهجة أو لغة لكنانة لم تشترك فيها قريش .

وساكن كنانة متفرقة ، ولكنها لا تبعد عن مكة كثيراً جداً ، ومن كنانة من كانوا شرقاً إلى الجنوب قريبين من القبائل اليمنية وهم بكر بن عبد مناة ، ومنهم من كانوا غربي مكة إلى الشمال قريباً من البحر الأحمر ، وكانت غفار من بكر بن عبد مناة تكاد تقرب من المدينة من غربيها .

وقد عبد جماعة من كنانة القمر ، وتهود منهم جماعة ولعلهم الذين قاربوا أهل اليمن ، وكان لبني مالك وملكان صنم اسمه « سعد » بساحل جدة ، ومما يحكى أن رجلاً من ملكان أقبل بإبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فلما دنا منه ورآه وكان يهراق عليه الدماء تقرباً إليه ، نفرت منه الإبل ، فذهبت في كل وجه فغضب صاحبها فتناول حجراً فرماه وقال: لا بارك الله فيك إلهاً أنفرت علي إبلي .. ثم خرج في طلبها حتى جمعها ثم انصرف يقول:

أتيتا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعونني ولا أرشد

هذا ومن غفار من بني بكر بن عبد مناة أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور ، ومنها كذلك عزة عبيرة كثير ، ومن الدئل من بني بكر بن عبد مناة أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع النحو ، وكذلك منها سارية بن زنيم صاحب القصة المشهورة في سيرة سيدنا عمر حيث قال له وهو يبيد عنه يا سارية ابن زنيم الجبل .. ومن بني مالك بن كنانة نسأة الشهور في الجاهلية وكذلك منهم ربيعة بن مكدم أحد الفرسان في الجاهلية النابهين ...

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فراج

حاشية :

(١) ذكرت في مقال سابق أن اسم الإشارة «هنى» لم يقع في القرآن الكريم ولكن تبين لي أن ابن عيصين قرأ بها : هنى الشجرة هنى القرية

(٢) جاءني خطاب من حضرة السيد علي عبد الحسين السلمان من العراق ينبهني إلى اتفاقي في تنوين العوض على ما كان مقوماً وحقيقة أن تنوين العوض منه ما هو عوض عن حرف وما هو عوض عن كلمة وما هو عوض عن جملة . لكن هذه أمور عامة في جميع القبائل ، ولم أرد إلا ما اختلفت فيه وهو تنوين الترنم ...

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة الامتحانات

قلم التعليم الثانوي الحر — إعلان

الطلبة الذين يدرسون مناهج التعليم الثانوي بمنازلهم والذين يريدون التقدم لامتحانات الانتقال في مرحلة الثقافة العامة يمكنهم أن يطلعوا على عدد الوقائع المصرية رقم (١٨) الصادر في ٧ فبراير سنة ١٩٤٩ والمدرج به أسماء المدارس الأميرية التي تقوم بامتحان طلبة المدارس الحرة وطلبة المنازل وذلك لاختيار المدرسة التي يرغب كل منهم الامتحان أمامها .

ويمكن لكل منهم كذلك الاطلاع على شروط دخول الامتحان والمواعيد المحددة لدفع رسومه وتقديم الطلبات وغير ذلك من المعلومات بالمدارس المشار إليها .

١٣٣١